نعمة العقل وأثرها في حركية الإنسان،
في ضوء حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
"الإحسان أن تعبد الله كأنّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك".

أ.د. عبد القادر سليماني
كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية
– جامعة وهران–

الملخص:

المسلم في أحسن أن يكون في رتبة الإحسان مع الله، ويتحقق ذلك بالآتي:
(الخضوع الشامل لله عز وجل – وأن يكون هذ الخضوع إراديا مقصودا).

وهذان المعياران المنتجان لهذا الإحسان وبه يُقاس نجاح الإنسان في علاقته بالحياة؛ وله ثمرات عظيمة تتجلّى في تماسك بنيان المجتمع، وحمايته من الخراب والتهلكة، ووقايته مِن الآفات الاجتماعية الناجمة عن الخلل الخلقي، والتربوي، والاقتصادي، والاجتماعي. ومن ثمراته التمكين في الأرض، وتقديم النموذج الأمثل والأجود لكسب رهانات التقدم الحضاري.

وهو أيضا وسيلة الأساسية لإزالة ما في النفوس من سوء الفهم وسوء الظّن ونحو ذلك، ويؤدي إلى توثيق الروابط وتوفير التعاون، ويؤكّد الترابط الأسري، ويحقِّق الاستقرار العائلي، والاجتماعي.

الكلمات المفتاحية: الإحسان، العبادة، الجهاد، ثمرة، نجاح، العقل.

Summary:

It is better for a Muslim to be in the rank of benevolence with God, and this is achieved by the following:

(Comprehensive submission to God Almighty - and that this submission is voluntary and intended).These are the two criteria that produce this benevolence and by which a person’s success in his relationship with life is measured; It

has great fruits that are reflected in the cohesion of the structure of society, its protection from ruin and destruction, and its protection from social ills resulting from moral, educational, economic and social defects. Among its fruits is empowerment in the land, and providing the best and best model to win the stakes of civilizational progress.

It is also a basic means to remove misunderstandings, mistrust, and the like, and it leads to closer ties and cooperation, confirms family bonding, and achieves family and social stability.

Keywords: charity, worship, jihad, fruit, success, reason.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على محمد بن عبد الله وعلى آله الأطهار وأصحابه الأبرار، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

لا شكّ أن الإنسان هو محور البناء ومرتكز الوجود الحضاري، وأن بناء الإنسان في الرؤية الإسلامية، يتحقق وفق القيم المحدّدة في الكتاب والسنة، التي تحفظ عليه خط السير باعتدال، في إطار منهج الاستخلاف الذي يتضمّن التكليف بعمارة الأرض، بما هو أحسن وأنفع وأتقن وأجود.

فيكون الإحسان بذلك عنصرا أساسيا في صناعة التميّز، وهو المنهج المطلوب في بناء الإنسان، لأن سعيه إلى تحقّق الإحسان، متوقف على مهارته وقدرته على إحسان ما هو موكول إليه من أعمال، وإتقان ما هو مكلّف به من أشغال ومهن، على نحو يحقّق دلالات حبّ الله عز وجلّ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم:" إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه".[1] وعليه فلا يكتمل معنى الإحسان المشار إليه في السنة النبوية، إلا بالإتقان والجودة، الذي به تكتمل صورته، وتتجلّى معانيه في واقع الأمر، وعليه فالإحسان يتضمّن إتقان العبادة كما يتضمّن إتقان المعاملة، فالمسلم يكون بذلك محسنا في صلاته كما يكون محسنا في مصنعه، حتى يصير العمل ضرباً من العبادة والتقرب إلى الله عزّ وجلّ، فيكون للناس رحمة

يعمّ نفعُه الكونَ بأسره، وهو نفع لا يتوقف على حدود النية أو سلامة القصد، بقدر ما يتوقف على القدرة على إتقان ما وكِّل إليه من أعمال.

وفي جملة القول، فالإحسان هو منهج حياة، يساهم في صناعة التميّز، وحافز كبير لكسب رهان التقدّم الحضاري، فهو يعطينا مواصفات بناء الإنسان في نفسه، وخُلقه، وتعاملِه مع المجتمع، ويعطينا الوصف المرغوب لعلاقات الإنسان بربه، وبالناس، وبالكون.

فما هو مفهوم الإحسان في ضوء السنة النبوية؟ وما هي أهميته وخصوصيته في تنمية المهارات وصناعة التميّز؟ وما هي آثاره في التنمية الإبداعية على مستوى الفرد والمجتمع؟

أولا: تعريف الإحسان لغة:

الإحسان ضد الإساءة، والحسن ضد القبح، والجمع محاسن على غير قياس كأنه جمع محسن، وقد حسن الشيء بالضم حسنا، ورجل حسن وامرأة حسنة وحسناء، وحسن الشيء تحسينا زينه، وأحسن إليه وبه وهو يحسن الشيء أي يعلمه، ويستحسنه أي يعدّه حسنا، والحسنة ضد السيئة، والمحاسن ضد المساوئ، والحسنى ضد السوء.[2]

قال الجرجاني:"الحُسن هو كون الشيء ملائما للطّبع كالفرح، وكون الشَيء صفة الكمال كالعلم، وكون الشّيء متعلّق بالمدح كالعبادات، وهو ما يكون متعلّق المدح في العاجل والثّواب في الآجل"[3]، وقال الراغب الأصفهاني:" والحسن: أكثر ما يقال في تعارف العامَّة في المستَحسَن بالبصر، يقال: رجلٌ حسنٌ وحُسّان، وامرأة حَسْناء وحُسّانة".[4]

ثانيا: تعريف الإحسان اصطلاحا:

والعمدة في تعريفه اصطلاحا ما فسّره النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل المشهور، لما سأله عن الإحسان، قال:" أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك"[5]، أي أن الإحسان على مرتبتين: أعلاهما عبادة الله "كأنك تراه"، وهذا مقام المشاهدة، والثاني:" فإن لم تكن فإنه يراك"، وهذا مقام المراقبة".

ثالثا: الفرق بين الإحسان وبعض المصطلحات، وأخصّ بالذكر مصطلحي: الإنعام والفضل.

1- الفرق بين الإحسان والإنعام: أَن الإحسان يكون لنفس الإنسان ولغيره، تقول: أَحسنتُ إلى نفسي، وأحسنت إلى غيري، والإنعام لا يكون إلّا لغيره[6]، وقد يجتمعان، فحينئذٍ نقول: كل إحسان إنعام ولا عكس، لأن الإحسان أعم، حينئذٍ يفترق بالإحسان إلى النفس.

2- والفرق بين الإحسان والفضل: أن الإحسان قد يكون واجبا وغير واجب، والفضل لا يكون واجبا على أحد، وإنّما هو ما يتفضل به من غير سبب يوجبه[7].

لا شكّ أن الإحسان، كما سبق بيانه، يتضمّن إتقان العبادة كما يتضمّن إتقان المعاملة، وفرض الذات بالأمثل والأحسن، بتفعيل نعمة العقل في حركية الإنسان، في إطار التوكلّ على الله عزّ وجلّ، والأخذ بالأسباب، وهذه الخصائص هي من بين المقوِّمات النّاجحة في صناعة التميّز، ورقي المجتمعات والحضارات، نحو الأفضل والأجود، وتفصيل ذلك فيما يلي:

أولا: مفهوم العبادة في الإسلام: مفهوم واسع وشامل، ذكرها الله سبحانه وتعالى في معرض بيان وظيفة الإنسان في هذه الحياة، فحصر فيها حياته، وجعلها الغاية من خلقه، فقال سبحانه:﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، [الذاريات:56].

ولهذا كانت حياة المسلم كلها كما أرادها الله تعالى، عبادة خالصة له سبحانه في جميع جوانبها الخاصة والعامة، والعقدية والعملية [8]، فالمسلم عبد لله عزّ وجلّ في كل تحرك وسكون، سواء كان في صلاته أو في مصنعه، أو في مزرعته، أو في جامعته، فهو مطالب بالإحسان والدقّة والإتقان في جميع أحواله.

لقوله تعالى﴿ قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، [الأنعام: 162].

وقول النبيّ صلى الله عليه وسلم:" وفي بضع أحدكم صدقة"، قالوا: يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال:" أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر".[9]

وقوله صلى الله عليه وسلم:" الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبه فأفضلها قول: لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياءُ شعبةُ من الإيمان".[10]

ومن هنا عرّف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله العبادة بأنها:" اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، كالصلاة والزكاة، والصيام والحج، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبرّ الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجهاد الكفار والمنافقين، والإحسان للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم، والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة.

وكذلك حبّ الله ورسوله، وخشية الله والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعمه، والرضا بقضائه والتوكل عليه، والرجاء لرحمته والخوف من عذابه وأمثال ذلك من العبادة لله.

وذلك أن العبادة لله هي الغاية المحبوبة له، والمرضية له التي خلق الخلق لها كما قال تعالى:﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات الآية 56][11]، قلت: ولا شكّ أن غاية المنهج الإسلامي، تحقيق معنى العبادة بمفهومها الشامل.

ثانيا: نعمة العقل وأثرها في حركية الإنسان، والخضوع الإرادي:

وإذا ما عرف العلماء العبادة بالخضوع الشامل، والطاعة الكاملة، فلا بد لنا من أن نلاحظ في تعريف العبادة بالنسبة للإنسان قيدا خاصا يميز خضوعه عن خضوع غيره من المخلوقات، فالكون كله بأملاكه وأفلاكه، وجماداته وحيواناته خاضع لله عز وجل، لا يخرج عن طاعته قيد أنملة،﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾، [فصلت:11].

ولهذا كان لا بدّ لنا من قيد مميز لعبادة الإنسان عن عبادة غيره من المخلوقات، قيدٌ ينسجم مع ما وهبه الله إياه من نعمة العقل، ألا وهو قيد "الإرادة".

فعبادة الإنسان لله هي خضوعه الإرادي الشامل، وطاعته الإرادية المطلقة له سبحانه، أما الخضوع القسري فلا مزية فيه لمخلوق على مخلوق.

ومن هنا نلاحظ أن القرآن الكريم استعمل لفظة العبادة بالنسبة للإنسان استعمالا يشعر بهذا القيد الإرادي فقال سبحانه:﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾،[غافر:60]، وقال أيضا:﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾،[الصافات:35]، والاستكبار عن العبادة أمر إرادي لا يكون إلا من الإنس والجن، أما غيرهم من الملائكة مثلا، فلا يعرفون الاستكبار؛ لأنهم مفطورون على الطاعة والخضوع، قال تعالى في وصف الملائكة:﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾،[الأعراف:206].

ولهذا كان مفهوم العبادة في الإسلام يشتمل على عنصرين أساسيين:

1 – الخضوع الشامل لله عز وجل.

2 – وكون هذا الخضوع إراديا مقصودا.

ولما كان الخضوع الإرادي لله عز وجل عنوان العبادة الحقيقية من هذا الإنسان، كان كافيا أن يرافق هذا الخضوع أي تصرف من تصرفات الإنسان الاختيارية أو الاضطرارية، ليصبح هذا التصرف عبادة لله عز وجل؛ لأنه ابتغى به وجهه، وجاء على وفق رضائه، ومن هنا كان بإمكان المسلم أن يجعل حياته كلها عبادة، حتى عاداته وغرائزه من طعام وشراب ولباس وسكن ومتعة في هذه الحياة.

فهو يماثل غيره في صور هذه التصرفات، ويتميز عن غيره في حقيقتها واعتبارها، كحديث:" وفي بضع أحدكم صدقة".[12]

كما يكفي أن يفارق هذا الخضوع الإرادي أي تصرف من تصرفات الإنسان، حيث يفقد هذا التصرف وصف العبادة حتى ولو كان هذا التصرف صلاة أو صياما، أو غير ذلك من شعائر العبادات كأن يقوم بمثل هذه العبادات ولا يقصد منها العبادة، أو أن تكون من فاقد العقل مثلا، لقوله صلى الله عليه وسلم:" رُبّ صائم ليس له من صيامه إلا الجوع، ورُبّ قائم ليس له من قيامه إلا السهر".[13]

فالخضوع الشامل لله عز وجل، يكون إراديا ومقصودا، فيكون الإنسان عندئذ رحمة للناس، يعمّ نفعُه نفسَه أولا، ويتعدى هذا النفع إلى غيره من جميع

المخلوقات، وهو نفع لا يتوقف على حدود النية أو سلامة القصد، لقول النبي صلى الله عليه وسلم:" إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى"[14]، بقدر ما يتوقف على القدرة على إتقان ما وكِّل إليه من أعمال، لقوله صلى الله عليه وسلم:" إن الله تعالى يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه".[15]

فالجمع بين هذين الطرفين، يتجلّى في تفسير الفضيل بن عياض رحمه الله لقول الله تعالى:﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾،[الملك:2]، قال:" أخلصه وأصوبه"؛ وفسّر ذلك بقوله:" العمل لا يقبل حتى يكون خالصا صوابا، الخالص: إذا كان لله، والصواب: إذا كان على السّنّة".[16]

فالمطلوب في تنمية المهارات وصناعة التميّز، توظيف كل القدرات الإنسانية باعتدال، بهدف الاستخلاف الذي يتضمّن التكليف بعمارة الأرض، وفق مفهوم الإحسان، وهو:" أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك".[17]

ثالثا: فرض الذات، وتوظيف القدرات للتغيير، بالتوكل على الله والأخذ بالأسباب:

1- لا شك أن العجز والكسل هو مفتاح كل شر، وهو من أهم العوامل المسقطة للقيم والحضارات، ومن هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم للرجل الذي قضي عليه، فقال: حسبي الله ونعم الوكيل، فقال:" إِنَّ اللَّهَ يَلُومُ عَلَى العَجْزِ، وَلَكِنِ عَلَيكَ بِالْكَيس فَإِذَا غَلَبَكَ أَمْرٌ، فَقُل حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعمَ الوَكِيلُ".[18]

فهذا قال:" حسبي الله ونعم الوكيل" بعد عجزه عن الكَيْس، الذي لو قام به، لقضي له على خصمه، فلو فعل الأسبابَ التي يكون بها كَيِّسا، ثم غُلِب فقال: حسبي الله ونعم الوكيل، لكانت الكلمةُ قد وقعت موقعها، كما أن إبراهيم الخليل عليه السلام، لما فعل الأسباب المأمورَ بها، ولم يعجِز بتركِها، ولا بترك شيء منها، ثم غلبَه عدوه، وألقوه في النار، قال في تلك الحال:" حسبي الله ونعم الوكيل"، فوقعت الكلمةُ موقعها، واستقرت في مظانِّها، فأثَّرت أثرها.[19]

وحديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنت أخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما نزل، فكنت أسمعه يكثر أن يقول:" اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ".[20]

فهذه النصوص وغيرها، فيها دلالة واضحة على أن الله سبحانه وتعالى يلوم على العجز، ويحبُّ الْكَيْسَ ويأمر به.

وَالْكَيْسُ[21]: هو مباشرةُ الأسباب التي ربطَ الله بها مُسبباتِها النافعة للعبد في معاشه ومعاده، فهذه تفتحُ عمل الخيرِ، وأما العجزُ، فإنه يفتحُ عملَ الشيطان، فإنه إذا عَجَزَ عما ينفعُه، وصار إلى الأماني الباطِلة، بقوله: لو كان كذا وكذا، ولو فعلت كذا، يفتح عليه عمل الشيطان، فإن بابَه العجزُ والكسل، ولهذا استعاذ النبي صلى الله عليه وسلم منهما، وهما مفتاحُ كل شر، ويصدر عنهما الهمُّ، والحَزَنُ والجُبنُ، والبُخلُ، وَضَلَعُ الدَّينِ، وغَلَبةُ الرِّجَالِ، فمصدرُها كُلها عن العجز والكسل، وعنوانها " لو"، فلذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم:" المؤمن القويّ خير وأحبّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، فإن أصابك شيء، فلا تقل لو أني فعلت كذا لكان كذا، ولكن قل قدّر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان".[22]

فالمتمنِّي من أعجزِ الناس وأفلسِهم، فإن التمنيّ رأسُ أموال المفاليسِ، والعجزُ مفتاح كُلِّ شر، وخسارة رهان التقدم الحضاري.

وأصل المعاصي كُلها العجزُ، فإن العبدَ يَعجز عن أسباب أعمالِ الطاعات، وعن الأسباب التي تُبْعِدُه عن المعاصي، وتحول بينه وبينها، فيقعُ في المعاصي، فجمع هذا الحديث الشريف في استعاذته صلى الله عليه وسلم أصولَ الشر وفروعَه، وموارِدَه ومصادرَه، التي بالتأكيد لها آثار سلبية على جميع المستويات، منها الفرد والأسرة والمجتمع، وفي جميع المجالات، منها الاجتماعية، والاقتصادية والثقافية والتربوية وما إلى ذلك.

2- تحقيق التوكّل لا ينافي السعي في الأسباب:

فالتوكّل على الله سبحانه وتعالى، وتفويض الأمر إليه عزّ وجلّ، وتعلّق القلوب به جلّ وعلا، من أعظم الأسباب التي يتحقق بها المطلوب، ويندفع بها

المكروه، وتقضى الحاجات، وكلما تمكّنت معاني التوكّل من القلوب تحقّق المقصود أتم تحقيق، وهذا هو حال جميع الأنبياء والمرسلين، عليهم الصلاة والسلام.

وفي حديث عمر رضي الله عنه:" لو أنّكم توكّلتم على الله حق توكّله، لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصاً وتروح بطاناً "[23]، فذكر أنها تغدو في طلب الرزق.

والأخذ بالأسباب هو هدي سيد المتوكّلين على الله–صلى الله عليه وسلم–، إذ عدمُ الأخذ بالأسباب قدح في التشريع، والاعتقاد في الأسباب قدح في التوحيد، وفي الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله أعقلها وأتوكل، أو أطلقها وأتوكل؟ قال:" اعقلها وتوكّل"[24]، وجاء في الأثر أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:" إني أكره أن أرى الرجل فارغا، ليس في عمل آخرة ولا دنيا".[25]

وتحقيق التوكّل، كما أشار إلى ذلك الحافظ ابن رجب الحنبلي، لا ينافي السعي في الأسباب التي قدر الله سبحانه وتعالى المقدورات بها، وجرت سنته في خلقه بذلك، فإن الله تعالى أمر بتعاطي الأسباب مع أمره بالتوكّل، فالسعي في الأسباب بالجوارح طاعة له، والتوكل بالقلب عليه إيمان به.[26]

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى:" أن من وثق بالله، وأيقن أن قضاءه عليه ماض، لم يقدح في توكّله وتعاطيه الأسباب، اتباعا لسنته وسنة رسوله، فقد ظاهر صلى الله عليه وسلم في الحرب بين درعين، ولبس على رأسه المغفر، وأقعد الرماة على فم الشعب، وخندق حول المدينة، وأذِن في الهجرة إلى الحبشة وإلى المدينة، وهاجر هو، وتعاطى أسباب الأكل والشرب، وادخر لأهله قوتهم، ولم ينتظر أن يتزل عليه من السماء، وهو كان أحق الخلق أن يحصل له ذلك، وقال للذي سأله أعقل ناقتي أو أدعها؟ قال:" اعقلها وتوكل"، فأشار إلى أن الاحتراز لا يدفع التوكل، والله أعلم".[27]

فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم بالأسباب في مختلف المواطن، مع قوة توكّله بالله تعالى، وما هو إلا للإستنان به، وتفسير لمنهجه وهديه صلى الله عليه وسلم في وضع قاعدة عامة، مفادها أن التوكّل على الله لا ينافي تعاطي الأسباب، وهو أساس

من بين الأسس التي تُنمّي المجتمعات، وترقي الحضارات، وتصنع التميّز، الذي يجعل منه نموذجا للأمثل والأجود.

وقد قسّم ابن رجب الحنبلي الأعمال إلى ثلاثة أقسام:

أحدها: الطاعات التي أمر الله عباده بها، وجعلها سببا للنجاة من النار ودخول الجنة، فهذا لابد من فعله مع التوكّل على الله فيه، والاستعانة به عليه، فإنه لا حول ولا قوة إلا به، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، و لا ينبغي التقصير في شيء مما وجب عليه من ذلك في الدنيا والآخرة شرعا وقدرا.

والثاني: ما أجرى الله العادة به في الدنيا وأمر عباده بتعاطيه، كالأكل ثم الجوع، والشرب ثم العطش، والاستظلال من الحر، والتدفؤ من البرد، ونحو ذلك، فهذا أيضا واجب على المرء تعاطي أسبابه، ومن قصر فيه حتى تضرر بتركه مع القدرة على استعماله فهو مفرط.

والقسم الثالث: ما جرى الله العادة به في الدينا في الأعم الأغلب، وقد يخرق العادة في ذلك لمن شاء من عباده، وهو أنواع منها ما يخرقه كثيرا ويغني كثيرا من خلقه، كالأدوية بالنسبة إلى كثير من البلدان وسكان البوادي ونحوها"[28]، والله أعلى وأعلم وأحكم.

وخلاصة القول؛ فإن الإحسان بمفهومه الشامل، في ضوء السنّة النبوية، هو من بين أسس هذا المنهج الرباني، في صناعة الفكر المتجدّد، وحافز كبير لكسب رهان التقدّم الحضاري، وله آثار متميِّزة في تنمية الفرد والمجتمع، باعتباره أنه عبادة تتراوح بين المشاهدة والمراقبة، وهو يشتمل على عنصرين أساسيين: الخضوع الشامل لله عز وجل وكون هذا الخضوع إراديا ومقصودا.

هذا بالإضافة إلى ما يتضمّنه من فرض الذات، وتوظيف القدرات العقلية، والروحية، والمادية، للتغيير، بالتوكل على الله جلّ وعلا، والأخذ بالأسباب. وهو منهج يرفض العجز والكسل والتواكل رفضا تاما، لأن هذه المواصفات تعتبر مفتاح كل شر، وهي من أهم العوامل المسقطة للحضارات، وتأخّر المجتمعات، وقد نهى عنها النبي صلى الله عليه وسلم.

وعليه فلا يكتمل معنى الإحسان المشار إليه في حديث جبريل عليه السلام، إلا بالإتقان والجودة، والتخطيط السليم، الذي به تكتمل صورته، وتتجلّى معانيه في واقع الأمر، فالإحسان يتضمّن إتقان عبادة الله عز وجل، كما يتضمّن إتقان المعاملة مع خلق الله، فالمسلم يكون بذلك محسنا في صلاته، وصيامه، وزكاته، كما يكون محسنا في علاقته مع خلق الله عزّ وجل.

والإحسان هو المقياس الذي يُقاس به نجاح الإنسان في علاقته بالحياة، وهو ثمرة عظيمة تتجلّى في تماسك بنيان المجتمع، وحمايته من الخراب والتهلكة، ووقايته مِن الآفات الاجتماعية الناجمة عن الخلل الخلقي، والتربوي، والاقتصادي، والاجتماعي.

ومن ثمراته التمكين في الأرض، وتقديم النموذج الأمثل والأجود لكسب رهانات التقدم الحضاري.

وهو الوسيلة الأساسية لإزالة ما في النفوس من سوء الفهم وسوء الظّن ونحو ذلك، ويؤدي إلى توثيق الروابط وتوفير التعاون، ويؤكّد الترابط الأسري، ويحقِّق الاستقرار العائلي، والاجتماعي.

وصلى الله على محمد بن عبد الله وعلى آله الأطهار وأصحابه الأبرار ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

الهوامش:

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1410هـ (ح:5312، 334/4)، والطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد، المعجم الأوسط، تحقيق طارق بن عوض الله، دار الحرمين، القاهرة، (در)، 1415هـ، (ح:897، 275/1)، وأحمد بن علي أبو يعلى، المعجم، تحقيق إرشاد الحق الأثري، ط1، إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد، 1407هـ،ح:4386، 349/7)، وصححه الألباني لشواهده في السلسلة الصحيحة (1113).

(2) ابن منظور، لسان العرب، ط1، دار صادر، بيروت،(دت)، (114/13)، وابن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، اعتنى بترتيبه محمود خاطر،ط7، المطبعة الأميرية بالقاهرة، 1953م،(58/1)، والألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطيائي(ت:672هت)، تحقيق د.محمد حسن عواد، دار الجيل، بيروت،ط1، 1411هـ، (ص:211).

(3) الجرجاني، أبو الحسن علي بن محمد بن علي، التعريفات، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد،(در، دت)، (ص:117/1).

(4) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص:236؛ ود.مسفر بن سعيد الغامدي، مجلة البحوث الاسلامية، التابعة للرئاسة العامة البحوث العلمية والإفتاء، المملكة العربية السعودية، عدد58، رجب–شوال 1420هـ.

(5) أخرجه البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي، الجامع الصحيح، تحقيق مصطفى ديب البغا، (در)، دار الهدى، الجزائر، 1992م، (ح:49، 27/1)، ومسلم بن الحجاج، أبو الحسين القشيري النيسابوري، الجامع الصحيح، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (در، دت)، (ح:8، 37/1).

(6) ابن منظور، المصدر السابق، (117/13)، وأبو هلال العسكري، معجم الفروق اللغوية، تحقيق محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة، (در، دت)، (ص:193).

(7) أبو هلال العسكري، المصدر نفسه (ص:194).

(8) أبو بكر الجزائري، منهاج المسلم، ديوان المطبوعات الجزائرية، بترخيص من دار الشروق، الجزائر، ط4، 1988م، (ص:220).

(9) صحيح مسلم (ح:1005، 697/2)، ومسند أحمد بن حنبل (168/5).

(10) صحيح مسلم (ح:35، 63/1)، وقد أخرجاه بلفظ:"الإيمان بضع وسبعون شعبة والحياء شعبة من الإيمان"، البخاري (ح:9، 12/1)، ومسلم (ح:35، 63/1).

[11] أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، مجموع الفتاوى، (در، دت)، (149/10).
[12] تقدم تخريجه، ص:12.
[13] رواه ابن ماجة في سننه (ح:1690، 539/1)، والحاكم، محمد بن عبد الله أبي عبد الله النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ، 1991م. (ح:1571، 596/1)، وقال:"صحيح على شرط البخاري"، وقال الألباني في صحيح ابن ماجه (1380، 1714): "حسن صحيح"، (71/2).
[14] صحيح البخاري (ح:54، 30/1)، وصحيح مسلم (ح:1907، 1515/3)، واللفظ له.
[15] تقدم تخريجه ص:2.
[16] البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، تفسير القرآن الكريم، سورة الملك، دار طيبة، الرياض، (در، دت)،(173/8).
[17] تقدم تخريجه ص:4.
[18] أبو داود،سليمان بن الأشعث السجستاني،السنن، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر،(ح:3627، 313/3)، وضعّفه الألباني في ضعيف أبي داود (3627).
[19] ابن قيم، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي الدمشقي، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق شعيب الأرناؤوط، وعبد القادر الأرناؤوط، ط14، بيروت،الكويت، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية،1407هـ، 1986م، (362/2).
[20] 20-البخاري في صحيحه (ح:2736، 1059/3)، واللفظ له، ومسلم في صحيحه (ح:2706، 2079/4).
[21] الكيس: العاقل، قال ابن الأثير في النهاية (218/4):"كاس يكيس كيسا والكيس العقل...وكان كيِّس الفعل أي حسنه، والكيس في الأمور يجري مجرى الرفق فيها"، وقال في اللسان (212/6):"الكَيْسُ الخفة والتوقد".
[22] مسلم في صحيحه (ح: 2664، 2052/4).
[23] الترمذي في سننه (ح:2344، 573/4)، وابن ماجه في سننه (ح:4164، 1394/2)، وأحمد في مسنده (ح:370، 52/1)، وقال أبو عيسى:"هذا حديث حسن صحيح"، وصححّه الألباني في صحيح الترمذي (541/2)، وفي صحيح ابن ماجه (363/3).

[24] الترمذي في سننه (ح:**2517**، **668/4**)، وحسّنه الألباني في صحيح الترمذي (**2517**).

[25] عبد الله بن المبارك، كتاب الزهد، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت، (در، دت)، (ح:**741**، **256/1**).

[26] جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، ابن رجب الحنبلي، دار الكتب العلمية، بيروت، (در، دت)، (**437/1**).

[27] فتح الباري (**212/10**).

[28] ابن رجب الحنبلي، المصدر السابق ، (**437/1**).